جامعة الأزهر الشريف
كلية أصول الدين و الدعوة الإسلامية
بطنطا

الوجودية
وموقف الإسلام منها

تأليف
الدكتور / إبراهيم عبدالله حسن الحصرى
أستاذ العقيدة و الفلسفة المساعد
كلية أصول الدين و الدعوة الإسلامية
جامعة الأزهر - فرع طنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

الوجودية وموقف الإسلام منها

مقدمه

قبل أن نتناول الوجودية بالبحث والدراسة ينبغى لنا أن نقدم للقارئ نبذة مختصرة عن الوجود والعدم عند بعض المفكرين وموقف الإسلام من ذلك ليكون مدخلا لدراسة الوجودية والله المستعان.

يتفق كثير من المشتغلين بالأمور العقائدية على أن الوجود :

مقابل للعدم وهو أمر بديهي فلا يحتاج إلى تعريف من حيث إنه مدلول للفظ دون آخر وينقسم الوجود إلى قسمين : خارجى وذهنى

فالوجود الخارجي :

عبارة عن كون الشئ في الأعيان وهو الوجود المادى .

والوجود الذهني :

عبارة عن كون الشئ في الأذهان وهو الوجود العقلى أو المنطقى .

والوجود عند الفلاسفة :

مقابل للماهية لأن الماهية هى الطبيعة المعقولة للشئ والوجود هو التحقق الفعلى له .

وجملة القول :

إن وجود الماهيات وجود ذهنى، ووجود ما له ماهية وذات خارج النفس وجود مادى .

فالوجود الخارجى إذاً هو ما به تصبح الماهيات المعقولة حاصلة ومتحققة بالفعل ونسبة هذا الوجود إلى الماهية كنسبة الفعل إلى القوة ([1]).

ومن المعلوم أن القرآن الكريم لم يذكر كلمة " وجود " مطلقاً وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على أن الفلاسفة والمشتغلين بعلم الكلام ضلوا ضلالاً بعيداً عندما انحرفوا عن كلمات القرآن ومدلولاته .

---

[1]- المعجم الفلسفى : د. جميل صليبا جـ٢ .

وإذا شئنا أن نتعرف على معنى " العدم " نجد أمامنا عدداً كثيراً من التعاريف المتباينة المختلفة إلا أنه في أبسط التعاريف التى قدمها المفكرون يكون ضد الوجود .

ويقسمه رجال الوجودية القديمة كسقراط وأتباعه إلى قسمين :

مطلق وإضافى :

فالعدم المطلق : هو الذى لا يضاف إلى شئ .

والعدم الإضافى : هو المضاف على شئ كقولنا : عدم الأمن ، وعدم الاستقرار ، وعدم التأثر.

والعدم عندهم : إما أن يكون سابقا وهو المتقدم على وجود الممكن ، وأما أن يكون لاحقا وهو الذى يكون بعد وجوده .

أما مفهوم العدم عند الوجودية الحديثة ، فنرى " سارتر " في كتابه **" الوجود والعدم " يقرر :** أن لمفهوم العدم صفة مصطنعة لأنه لا معنى له إلا من جهة ما هو نفى شئ أو فقدان شئ ، ومعنى ذلك أنه لا وجود للعدم بذاته ، إنما الوجود للكائن الذى يتصور عدم الأشياء ، فكأن العد عنده ، لا يجيء إلى العالم إلا بطريق الإنسان.

والعدمى : هو المنسوب إلى العدم ، ويطلق على كل حد يدل على فقدان الشئ لإحدى الصفات التى تقتضيها طبيعته كالعمى للإنسان ، وكل شئ مصيره إلى الزوال ، كالسماء المظلة ، والأرض والمال والجاه والملك ، فهو عدمى .

ومن قديم الزمان حاولت البشرية قبل عصر الأديان أن تقاوم فكرة العدم ، وكأنها أدركت بفطرتها أن كل مغريات الوجود لا تكفى لحماية الإنسان من رفض حياة تنتهى حتما بهذا المصير الرهيب .

وكانت عقيدة البحث في الديانة المصرية القديمة ، محاولة مستبسلة لمقاومة فكرة العدم بعد الموت ([١]).

أما المعتقدات " السومرية " فيما نعلم فقد أصرت على قصر الخلود على الآلهة ومن تصطفيهم من البشر الصاحين ([٢]).

ولعل نوحاً عليه السلام وحده هو الذى آثرته " السومرية " بهذا الخلود لأنه أنقذ البشرية من الطوفان .

وجاءت الرسالات السماوية متتالية فبشرت البشرية بحياة أخرى بعد الموت ورفض فكرة العدم .

١- المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها : د. عبد الرحمن عميرة صـ ٢٠١
٢- القرآن وقضايا الإنسان : د. عائشة عبد الرحمن .

قال تعالى :

﴿ أوَ لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين · وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم · قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم · الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون · أوَ ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ ([١]).

وقال تعالى أيضاً :

﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ﴾ ([٢]).

٣- سورة يس الآية ٧٧-٨١ .
٤- سورة الحج الآية ٥ .

وأيضاً نستعرض آيات القرآن الكريم فلا نجد لفظ " العدم " لأن عقيدة الإسلام لا تعترف بهذا العدم كما عبرت عنه الأفكار الهدامة والفلسفات المضلة ولكن بالخلود الدائم والبقاء المقيم .؟

قال تعالى :

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ (1).

وقال عن الضالين المكذبين :

﴿ فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (2).

وعن طريق انحراف بعض المذاهب وبحثها في ماهية الوجود والعدم برزت إلى الوجود " العدمية ".

وبعد هذه الكلمة الموجزة عن الوجود والعدم ننتقل إلى الحديث عن الوجودية.

٥- سورة البقرة الآية ٨٢ .
٦- سورة البقرة الآية ٢١٧ .

الوجودية

معنى كلمة وجودية لغة :

الوجودية نسبة إلى الوجود ، والوجود هو الكينونة ، والتحقق والثبوت تقول فلان موجود بمعنى أنه متحقق وكائن وثابت إلا ان دعاة الفلسفة الوجودية يفرقون بين الكينونة والتحقق وبين الوجود ويقولون : إن الوجود ليس حالة فعل ، أو تحقق فقط ، وإنما هو الصيرورة من الإمكان إلى الواقع والجمادات والحيوانات كائنة ولكنها ليست موجودة ، إذ الوجود هو امتياز الإنسان ، فهو الذى يصنع نفسه بنفسه، ومن هنا يفرقون بين كلمة (عاش) وكلمة (وجد) [١] فالعائش هو الذى لا موقف له ، وإنما يترك مصيدة للآخرين ، ويسلم قياده لهم . وإنما الموجود هو الذى يقرر مصيره بنفسه فى حركة ديناميكية دائمة تجعله يتجاوز وصفه الراهن إلى أوضاع أخرى ، بحيث لا يتجمد ، ولا يصير مجرد كائن ، أو عائش فقط وإنما موجود . وكلمة وجودية باللاتينية **تعنى ex-sistere**

---

[١]- د/محمد غلاب : الوجودية الملحدة صـ١٧ نقلاً عن الوجودية فى ميزان الإسلام. وسعد الدين صالح صـ١٠ .

بمعنى الخروج من الحالة التى يوجد الإنسان عليها ليضع نفسه حيث لم يكن من قبل ، فالوجود عندهم هو فعل الخروج ([1]) وهكذا أخذ الوجوديون من لفظ (وجد) المعنى الذى يخدم فلسفتهم ، فادعوا إن (وجد معناه أنشأ نفسه بحرية ، أو حقق نفسه بنفسه ، أو على الأقل كان لديه إمكان تحقيق نفسه .([2]) وهم بذلك يتلاعبون بالألفاظ ، ويضربون صفحا عن المعانى اللغوية الصحيحة للألفاظ ليروجوا فكرهم الهدام

المعنى الاصطلاحي :

لقد اعترف الوجوديون بصعوبة تعريف الوجودية ، يقول سارتر : أكثر الأفراد الذين يستعملون كلمة وجودية يجدون صعوبة جمة إذا طلب اليهم إن يشرحوها ، إذ الواقع إن الوجودية أصبحت اليوم موضة العصر . وأصبحنا نسمع إن فلاناً الموسيقى وجودى النزعة وأن فلانا الرسام وجودى أيضا ، فى الواقع إن مفهوم كلمة وجودية اتسع اتساعا عظيما أصبحت الكلمة لا تعنى معه شيئا على الإطلاق .([3])

---

١ - عبد المنعم حنفى : معنى الوجودية صـ١٥٣ عن الوجودية فى ميزان الإسلام صـ١٠
٢ - د : غلاب صـ٣٩ عن الوجودية فى ميزان الإسلام صـ١٠-١١
٣- الوجودية مذهب انسانى صـ٤٠

إلا اننا مع ذلك نستطيع إن نقول : الوجودية مذهب يقـوم علـى ابـراز الوجود وخصائصه ، وجعله سابقا على الماهية ، فهو ينظر إلى الإنسان علـى أنه وجود لا ماهية ، ويؤمن بالحرية المطلقـة التـى تمكـن الفـرد مـن إن يمتـع نفسه بنفسه ، ويملأ وجوده على النحو الذى يلائمه .(١)

والفرد الموجود كما يقول كير كجورد : هـو ذلـك الـذى يكـون علـى صلـة بنفسـه هـو ذلـك الـذى يهتـم بنفسـه وبمصـيره اهتمامـا لا نهائيـا .(٢) فالوجودية ابراز قيمة الوجود الفـردى ، وتعنـى بهـذا إن يهتـدى الإنسـان إلـى وجـوده بنفسـه ، وأن يكـون مسـتقلا بنفسـه عـن الآخريـن وأن يسـير غور وجوده ..(٣)

التسمية :-

لقد نوقشت فكرة الوجود مـع البـوادر للتفكـير ... فقـد عرفتهـا الديانـة الهندية القديمة (البرهمية) وكانت نظرتها إلى الوجود نظرة مفرقة بين نوعين من الوجود ، وجود حقيقى ، ووجـود معـدوم ، فالإلـه هـو الوجـود الحقيقـى ،

١- المعجم الفلسفى صـ٢١١ مجمع اللغة العربية .
٢ - وجان فال من تاريخ الوجودية ضمن نصوص مختـارة مـن الـتراث الوجـودى صـ٦ ترجمة فؤاد كامل .
٣ - المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها د/ عبد الرحمن عميرة صـ٢١٥

والعالم وجوده عدم .. **وجميع الفلسفات التى تعرضت للوجـود انحصرت فـى الاتجاهات الآتية :**

أولا : الاتجاه الثنـائى :

يرى إن الوجود ، وجود ثنائى له طرفان :

أ- وجود رفيع : هو الله تعالى ، ويثبت له كل كمال ، ولا يتصـور العقل له بداية أو نهاية ، فهو قـديم أبـدى . وهـو أصـل الوجـود الثانى الأقل .

ب-وجود أقل : وهو العالم المـادى المحسـوس ، وهـو تـابع مـن الوجـود الرفيع .

وهذا الاتجاه يعترف بشقى الوجود - ويميز بينهما على هذا النحو .

ثـانيـاً : الاتجاه الروحى : لا يرى (اثنينيه) الوجود . وانما الوجود فـى نظره وجود واحد فقط ، وما عدا ذلك لا وجود له .

فالوجود عند هذا الإتجاه : وجود رفيع فقـط ، وقـد عـبر عـن هـذا المذهـب (البرهمى) فقال بوحدة الوجود ، وهو مذهب غير مقبول فى نظر الإسلام .

ثالثاً : الاتجاه المادى :

هو اتجاه لا يرى أنصاره (اثنينيـه) فـى الوجـود وانمـا يحصـره فـى نوع واحد فقط ، هو الوجود المادى المحسوس المطلق ... وهو اتجاه الحـادى مرفوض فى جميع العقائد السماوية . وقد أسفرت هذه الاتجاهات عن مذاهب فلسفية متعددة المناهج والأحكام والتصورات ، فقد وصل الاتجاه (الاثنينـى) إلى تصور معنى (الألوهية) وجودا بجانب الوجود (المادى) وامكان الجمع بين نوعين من الوجود بلا تناقض .

أما الاتجاه الروحى الذى نفى (الوجود) المادى باطلاق فقد أوصلـه هذا الاتجاه إلـى فكـرة (وحـدة الوجـود) الفلسـفية و (الحلـول) وهـو عقيـدة فاسدة أما الاتجاه المادى فقد قذف هذا الاتجاه باصحابه إلـى عقيـدة انكـار كـل شىء ما عدا ما يحس ويجس،وبالتالى:انكار ما وراء الطبيعة من ألوهيـة،ومـا اليها من قضايا .

من هذا نعلم إن فكرة الوجود قديمة قدم الفكر الانسانى . ورغـم ذلـك لم يصف أحد النقاد أحدا مـن هـؤلاء الفلاسـفة بـأنهم وجوديـون ، رغـم أنهـم خاضوا فى مفهوم الوجود ، بينما وصف أصحاب التيـار الوجـودى المعـاصر بأنهم وجوديون فما هو علة ذلك ؟ قد يكون السبب إن البحث فى الوجود عنـد

الفلاسفة الأقدمين والأديان كان منطلقاً لتأصيل مذهب أو فلسفة أو فكرة ، فهو بمثابة أرض ثبات لبناء صرح فلسفة مـرادة ومقصـودة فاصلـة ، فـالبحث فـى الوجود عند هؤلاء وسيلة وليس غاية فى حد ذاته ، فالوجود وسيلته وغايتـه ، فنسب إلى غايته التى لا شىء بعدها ينسب اليها .

وعليه : فالنسبة (**الوجودية**) هى من قبيل التصنيف أى الدلالة على صنـف معين ، وليست من قبيل التوصيف أى خلع وصـف الاصالـة فـى البحـث عنـد أولئك الذين بحثوا قبل العصر الحديث .[1]

ويرى بعض العلمـاء أنهـا سـميت بهذا الإسم لأنهـم يعتبرون وجـود الانسان مقدما على ماهيته ، ومنهم من يرى أنها سـميت بذلـك لأنهـا تـرى إن وجـود الكائن لذاته أهـم مـن كونـه واحـدا مـن نـوع متعـدد الآحـاد ([2]) ويشـير الأستاذ يوسف كرم إلى هذا بقوله :

" سميت بالوجودية لاتفاقها على إن الانسـان محـور تفكير الإنسـان ، وأن منهـج هـذا التفكـير النظـر فـى الإنسـان علـى مـا يوجـد لا تحليـل ماهيته المجردة " ([3])

---

[1] -الوجوديـة فـى الميزان د/ مصطفـى غلـوش صـ ١١-١٦ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٢- المذاهب المعاصرة . د/عبد الرحمن عميرة صـ٢١٣ .
٣- تاريخ الفلسفة الحديثة صـ٤٥٥ .

ويقول الدكتور سعد الدين صالح : انها سميت بذلك لأنها قصرت بحثها فى وجود الانسان الجزنى الشخصى بينما أنكرت المعانى الكلية والمهايا العامة (١) .

قد أطلق على الفلسفة الوجودية اسم الفلسفة الانحلالية ، أو فلسفة العدم وهى تجتمع مع الفلسفات المادية فى انكارما وراء المادة " وتختلف معها فى الدعوة إلى احتقار الحياة .(٢) ومما يجدر الاشارة اليه ان الوجوديين لا يحبون إن يطلق عليهم هذا الاسم ، يقول روجرش : إن الوجودى لا يحب إن يطلق على نفسه أنه وجودى لأن هذا يعنى أنه واحد مما يمكن تصنيفه فى فئة الناس المعروفين بأنهم وجوديون ، انه يجب إن يقول : اننى نفسى ولا أميل إلى إن أوضع فى تصنيف يقال له انه خاص بالوجوديين .(٣)

ويرى البعض إن كلمة فلسفة تطلق على المذهب الوجودى تجاوزا لأنه (ليس فى واقع الأمر فلسفة . ولكننا لا نجد اسما فى الواقع يمكن إن يعبر تماما عنها – الوجودية – فنستعير لها كلمة فلسفة، إذ الفلسفة لابد إن

---

١ – الوجودية فى ميزان الإسلام صـ١١ .
٢ –الاسلام والدعوات الهامة . أنور الجندى صـ١٨٩
٣ –سورين كير كجارد. د : على عبد المعطى محمدصـ٩١

تنتهى إلى نتيجة ولكن الوجودية لا تنتهى إلــى شــيء ، فهـى لا توقـد شـمعة ، ولا تمهد طريقا ، ولا تشير إلى أى كائن سوى الإنسان ذاته .

وليس المعنى الانسانى الشامل ، وإنما الإنسان كفرد ، انه هـو مشـكلة نفسه ، كما يقال كير كجارد - الزعيم الأول للوجودية ، الذى ترجـم مشـاعره الخاصة وجمع آلام تجاربه وصبها فى بوتقة أسماها الوجودية فهى اذن معاناه ذاتية عاناها كير كجارد .

ولما كان كل انسان يختلف كثيرا عن سواه ، فـإن الإتجـاه الوجـودى لفرد ما سيختلف عنه بالقياس إلى فرد آخر ، ولذلك فإنك لا تستطيع ان تسمى مجموعة هذه الاتجاهات فلسفة أو مذهب ([1]) .

ويقول الدكتور مصطفى غلوش : الوجوديـة تيـار فلسـفى اتخـذ فكـرة الوجود منطلقا لتأصيل وجوده ، ونحن نسـميه تيـارا لأنـه لـم ينجـح ان يكـون فلسفة أو مذهبا وانما هـو اتجـاه يعبر عـن وجهـة نظـر أصحابـه وقـد وصلنـا بطريق الإعلام فى صورة تيار شديد ([2]) وسـواء أكـانت تيـارا أو فلسـفة فقد وجدت من يروج لها فى العالم الإسلامى عوامل انتشارها .

---

[1] - الوجودية والاسلام . محمد البوهى صـ١١٠

[2] -الوجودية فى الميزان صـ١٥

لقد كان المرعى الخصيب للدعوة الوجودية هو أوساط الشباب ، حيث كل جديد يبدو براقا ، وحيث لا توجد عند هؤلاء الشباب حصانة دينية أو خبرة ، وتجربة تقف أمام هذه الدعوة الجديدة بكل زخارفها والوانها وساعد على هذا رجال الدين فى كثير من البلاد التى أصابتها ويلات الحرب ، لم ينهضوا ليقدموا للناس العزاء بصورة تقبلها عقولهم ، أو تقديم الدين ومبادئه كعلاج لما هم فيه قبل إن يخطف أبصارهم بريق الوجودية .

ونعتقد إن مرد ارتماء الشباب فى أحضان الوجودية يرجع إلى عدة عوامل أهمها :

١ – الكنيسة :

اننا لو استعرضنا حياة بعض رجال الوجوديين لوجدنا إن العامل الأساسى لاندفاعهم فى هذا الطريق تحكم رجال الكنيسة ، وفرض آراء بشرية على اساس أنها أوامر الهيه ، فقد تحكم البابوات فى شئون الناس ، وفرضوا آراء لا تتفق مع العقل ، وادعوا إن هذه الآراء هى ما يدعوا اليه الدين ، وتبشر به السماء .

ولقد هاجم كير كجارد رجال الكنيسة ، وتحكمهم ، (فهو يرى إن العدالة الإلهية لا تقتضى إن يضع الله أناسا فى مركز خاص ومرموق ، كأن

يكونوا معاصرين للمسيح أو مولودين فى الكنيسة أو مختلفين لمراكز فيها ، فالايمان تتساوى صعوبته مع سهولته بالنسبة لجميع الناس ، ولا يمكن لنسان إن يمد غيره بالايمان أو يأخذه من غيره) (١)

وهاجم الكنيسة تلك المؤسسة التى يعتبرها ساورة فى الضلال. غارقة فى الزيف ، زاخرة بالفساد والانحلال ، وذلك لأن كير كجارد كان مسيحيا شديد الإخلاص ولكنه كان ثائرا فى الوقت نفسه ثورة روحية عارمة تتأبى على الجمود ، وتتمرد على التقاليد ، فكان من الطبيعى إن تؤدى به أراؤه إلى التصادم مع الكنيسة الرسمية بوصفها مؤسسة جامدة[٢]

ويرى كثير من الباحثين تمرد سارتر إلى مفاهيم المسيحية الغربية التى لم تستطيع إن تسعد نفسه ، أو تعطيه الإحساس العميق بذاته ، ومن الجوانب التى كانت مصدر ثورته ، وتحدياته إن الحياه لم تكن بذات قيمة فى نظر أهل مجتمعه ، وكانت هناك فكرة الخطيئة وكانت هناك محاولة تحرير الجسم الانسانى من كل رغبة وشهوة ، وان ذلك كله قد دفع الناس إلى انتظار مملكة فى غير هذا العالم ، وعزلة ورهبانية بعيدة عن المجتمع فى قلب الصحراء ، هذا هو التحدى الخطير الذى واجهه سارتر فى حياته ، فكانت ثم

١- سورين كير كجارد . د : على محمد صـ٤٦
٢- نصوص مختارة من التراث الوجودى . ترجمة : فؤاد كامل صـ٢٧

فلسفته متأثرة بكل هذه العوامل وقد صورت " سيمون دى بوفوار" سلوك تسارتر" فى الحياة فقالت : كان يكره الحقوق والواجبات ، وكل شىء رصين فى الحياه ، وهو يكاد يفهم إن له مهنة ، وزملاء ، ورؤساء ، وقواعد تراعى وتفرض ، ولن يكون أبداً رب أسرة حتى ولا رجلا متزوجا ، ولم يكن سارتر يرى فى الزواج شيئا عظيما وكان فوضويا أكثر منه ثوريا كان يجد المجتمع على ما كان عليه شيئا محتقرا وهكذا نجد سارتر خصما للدين على النحو الذى عاشته أوربا ، ومنه امتدت خصومته إلى كل قيم العقائد والأخلاق ، وهو فى هذا شبيه بفرويد ، وماركس فى دعوتهم الصارخة إلى هدم مقررات الدين والحقد الدفين على الكنيسة .([1])

٢- الحروب :

ومن هذه العوامل الحرب المدمرة ، وما حصدت الحرب العالمية الأخيرة من أرواح ، وما يزال يتهدد العالم من أخطار الصواريخ والقنابل الذرية كل هذه الأخطار حين تواجه النفس الإنسانية التى تجردت عن الإيمان بالله لا تجد طريقاً لها إلا الإتجاه فى طريق الإنحلال ، حيث يتصور إن الحياه هى الغاية الوحيدة وهى فى نفس الوقت غاية مهددة بالزوال فى أى

---

[1] - الإسلام والدعوات الهدامة صـ١٩٠ ، وانظر : المذاهب المعاصرة .

لحظة (١) فكرة الوجودية تسربت إلى كثير من النفوس التى عانت بعد حرب فراغا روحيا هائلا ونهض الذين قضى عليهم إن يستأنفوا الحياة من تحت أنقاض عالمهم ، وهم يمسحون عن وجوههم غبار الانهيار الذى انهارت معه أعصابهم ليروا كل شيء قد ذهب، المال ، والجاه ، والزوجات ، والأولاد ، فاصيبت القيم المعنوية التى عجزت عن إن تدخل العزاء إلى النفوس بتصدع كبير ، وكان لابد لكثير من الناس إن يجد له واحة يصبغها بنفسه يستمد منها فلسفته الجديدة، يستطيب معها احتمال آلامه، فبرزت الوجودية من مخبئها القديم وراحت تنشر أفكارها فى الظرف المناسب (٢)

٣- شذوذ رجال المذهب.

ولا ريب إن قادة الدعوة الوجودية كانوا جميعا من الشواذ، وكانت حياتهم الخاصة مليئة بالإضطرابات. أما كير كجورد :فقد كانت أمه خادمة عاشرها أبوه سرا ، وكان هو أحدب (٣) مما ضاعفت علته النفسية ، وكان ذلك يزيد شعوره بالنقص فاعتزل المجتمع وعاداه (٤) .

١ - نفسه صـ١٨٥-١٨٦.

٢- الوجودية والاسلام- محمد البوهى صـ٦٨-٦٩، وانظر : الوجودية فى ميزان الاسلام د/سعد الدين صالح صـ١٦

٣ - الحدب : خروج الظهر ودخول الصدر والبطن .مختار القاموس صـ٦٣١

٤ -الاسلام والدعوات الهدامة صـ١٨٩-١٩١

وكان أبوه شخصا غريب الأطوار ، عـارم الشـهوة ، متـأجج العاطفـة ولكنه فى الوقت نفسـه مشـبوب الشـعور الدينـى، مرهـف الإحسـاس بـالذنب ، سوداوى المزاج ، وتركت هذه الشخصية المنطويـة علـى كثـير مـن الأسـرار انطباعا قويا على كير كجورد لم يتخلص منه طيله حياته ، فنشأ نشأة حمقاء كما كان يسميها ، وتخطى مرحلة الطفولة والصبا دون إن يحياها . وكان أبوه - مأساته الأولى - لا يعاملـه بوصفـه طفـلا، وإنمـا بوصفـه شـيخا عجـوزا ، وأدهى من هذا كله إن الأب اعـترف لـه فيمـا بعـد بأنـه وقـف ذات يـوم فـوق إحدى روابى جوتلند الغربية ، وكـان حينـذاك راعيـا للغنـم صبيـا لـم يتجـاوز الثانية عشرة من عمره ، فقيرا معدما ، فلم يقل كما قال موسى لربـه فـى أدب **واستحياء** : " رب انى لما أنزلت إلى مـن خـير فقـير" ([1]) بـل سـب لعناتـه على الرب ، بوصفه مسـئولا عـن تعاسـته وبؤسـه ، بيـد إن اللـه اسـتجاب لـه إستجابة لم تكـن متوقعـة ، فلـم يلبـث إن أتـاه المـال والبنونزينـة وفتنـة وأدرك الرجل الأريب كلما أقبلت عليه الدنيا ، وزاده الله بسطة فى الجاه والأولاد إن هذا كله بلاء وأن الله سيأخذه فيما بعد بذنوبه أخذ عزيز مقتدر ، فكان يـترقب العقاب بين لحظة وأخرى . ونقل إلى الطفل البرىء هذه المشاعر كلها الملبنـة

---

[1] - القصص من الأيه : ٢٤

بالإثم والخطيئة وانتظار العقاب ، فتربى الطفل تربية دينية صارمة ، وألهب الأب خيال الطفل الموهوب بما كان يقوم به من نزهاتن خيالية بين جدران حجرته الصغيرة وظل كير كجورد عل اعتقاد لازمه طيلة حياته بأن ثمة لعنة الهية مسلطة على أسرته الملغزة كما كان يسميها ، وأن هذه اللعنة ستحيق بها على نحو أو آخر ، وفعلا جاءت اللعنة ، إذ شرع ملك الموت يخترم اخوته وأخواته الواحدة اثر الأخرى ، والواحد تلو الآخر وفى سنوات قلائل كان قد أطلع بالأسرة كلها فيما عدا أباه - طبعا لكى يشهد جزاء خطيئته - وأخاه الأكبر ، وهو ، ولم يلبث الأب إن حق بأبنائه الراحلين بعد إن طعن فى السن حتى بلغ الثانية والثمانيثن أما الأخ الأكبر فقد طعن فى السن هو الآخر وأن مسه طائف من الجنون فى آخريات حياته.[١] ويقول الأستاذ أنور الجندى : إن دراسة يسيرة لحياة "سارتر" تكشف عن الخلفية التى تقف وراء هذه المفاهيم ، وذلك إن مفاهيم "سارتر" التى أطلق عليها اسم "الوجودية" لم تكن الا صدى مشاعر نفسية ، ويقول سارتر فى كتابه " الكلمات" : "لقد وضعت ذاتى لأبى لم أكن ابنا لأحد "، وسارتر يعرف بأنه حين وعى نفسه لم يكن له أب ، ولا أم ولا أسرة ، فقد مات أبوه وهو فى شهره الثالث أما أمه فكطانت ممسوخة

---

[١] - نصوص مختارة من التراث الوجودى - ترجمة فؤاد كامل صـ٢٥ .

الشخصية ، ولم تشعره أبدا بحنان أمومتهـا ، ولـم تكـن الأسـرة تتعـدى جديـن عجوزين يؤذيانه هو وأمه ، ويشعرانهما بالمهانة ، وكانت نظـرة سـارتر إلـى البشرية نظرة مليئة بعطف مشوه أساسه الإحتقار ، وأراد ان يؤكد ذاته فـأنكر الكنيسة ، وحاول إن تكون له رسالة وهو الطفل المنبـوذ فـى مجتمـع الأطفـال العاديين فأنشأ الوجودية ([1])

٤ – الفلسفات المادية :

ومن عوامل انتشارها أيضا أنها جاءت بعد ان أفسـحت لهـا الطريـق مذاهب ، وأفكار من المادية ، وانكار الله ، وانكار البعث ، وما حملته الريـاح من أفكـار تقـول بـإعلاء الجنـس وإباحـة الرغـائب ، وتصـل إلـى القـول بـأن الإنسان خاضع لما يقرره العلم بانسـبة للحيوانـات ، والمـادة ، وقـد سـادت فـى الخمسين سنة الأخيرة موجة من التنكر للأديان ، والأخـلاق فـى العـالم كلـه ، ووجدت فيها مثل هذه الدعوات مجالا خصباً للإزدهار والإنتشار .وقـد كـانت الوجودية رد فعل لأشياء كثيرة منها : الدعوات التـى تـرى أنّ الإنسـان ليـس إلا ترساً فى آلة كبيرة ، ليس له وجود أو كيان منفصل ([2])

---

[1] – السلام والدعوات الهدامة صـ١٨٩ – ١٩١
[2] – نفسه صـ١٨٥-١٨٦

ويقول الأستاذ الدكتور : سعد الدين صالح : وفى نظرى إن وجودية سارتر

الملحدة قد خرجت من منابع ثلاثة :-

المنبع الأول : مادية ماركس التى فسرت كل شىء فى هذا الوجود تفسيرا ماديا بحتا ، وأنكرت كل ما ليس بمحسوس ، ولم تضع اعتبارا للأخلاق أو الدين .

المنبع الثانى : نظرية داروين الحيوانية التى تدعى إن الإنسان فى حقيقته ليس أكثر من حيوان خضع لسلسل من التطور ، وكأنه يريد إن يرتد بأخلاق الإنسان إلى صفات الحيوان الذى لا هم له الا مأكله ومشربه ، ويعيش لحظته غير عابىء بشىء .

المنبع الثالث : نظرية فرويد الجنسية التى فسرت سلوك الإنسان تفسيرا حيوانيا ينبع من إشباعه شهوة الجنس فقط ، فى محاولة لنشر الإنحلال ([1])

٥- دور اليهود - ومن عوامل انتشارها أيضا : تلك المخططات التلمودية الممثلة فى الصهيونية العالمية ، فهى التى صنعت كل ذلك وهى مسعرة

---

[1] - الوجودية فى ميزان الاسلام صـ١٨

الحرب وفى نفس الوقت صانعة الدعوات والمذاهب ، فلا ريب إن صيحة الوجودية كان يمكن إن تمضى ولا تترك هذه الآثار البعيدة فى العالم كله ، لولا وجود قوى خفية تحيطها ، وتدفعها إلى الأمام حتى إن كتابا يصدر فى باريس بالفرنسية تصدر طبعته بالعربية فى نفس الوقت فى بيروت . ولقد ظلت الصفحات التى كتبها كير كجورد نحو مائة سنة مغمورة حتى أخرجتها اليهودية التلمودية فى أوائل هذا القرن وأذاعتها وترجمتها .[١]

ولقد كان سارتر يهوديا فرنسيا ، وكانت القضايا الرئيسية فى الوجودية قد عولجت قبله ، ولم يصنع شيئا أكثر من عرض هذه المعالجات بأسلوب شعبى من خلال مسرحياته ، وقصصه الأدبية ، وللأسف الشديد إن سارتر أخذ شهرة كبيرة ، حيث نسبت الوجودية إليه ، وخصوصا الجناح الملحد منها الا أنه فى الواقع لا يستحق هذه الشهرة ، لأنه لم يضف جديدا إلى ما كتبه "هيدجر" وغيره ... ولا شك إن العاية الصهيونية كان لها أكبر الأثر فى إعلاء شأن سارتر ، وفى ترويج أفكاره الخبيثة وذلك فى محاولة لتقويض دعائم الإيمان فى نفوس الناس .(٢)

---

[١] - انر : الاسلام والدعوات الهدامة صـ ١٨٧ - ١٨٩
[٢] - الوجودية فى ميزان الاسلام صـ١٥

ويضاف إلى ذلك إن الذين آمنوا بها كانوا سذجا ، غير مسلمين بعقيدة دينية تحميهم من عواصف هذه الفتنة العمياء ، التى تبيح لهم الشهوات وتخلع عليها أسماء رنانة ، بل وترفع من قدرهم حين توهم هؤلاء المخدوعين أنهم أصحاب دعوة فكرية ، وفلسفة جديدة ، وهى فى الواقع لا شىء ، ولقد وصف الوجودية الفيلسوف "جان كانابا" ف كتابه المعروف باسم " الوجودية ليست فلسفة انسانية " فقال :

" إن الوجودية رائعة اذا شوهدت عن بعد ، غير أنها تبدو على حقيقتها حين نقترب منها فنكتشف أنها ليست إلا بناء من ورق " [1]

ومن ذلك يتبين إن الدعوة الوجودية غريبة عنا - نحن المسلمين - وعن مجتمعنا وعن قيمنا كل الغرابة ، وذلك لأنها نتاج تحديات ، وظروف ، ومواقف مختلفة تماما وهى فى مجموعها لا تمت إلى مفاهيمنا بسبب ، وهى ثمرة مجتمعات معينة ، فى ظروف معينة ، ونحن نعرف إن الفكر الغربى كلهيمرف هذه السنوات بأزمة عاصفة ، ويواجه تحديات خطيرة ، وأن الصهيونية العالمية من خلال أيدلوجيتها التلمودية قد احتوته تماما وصرعت فيه كل قوة ، وكل خير ، وهدمت دعائمه الأخلاقية ، وعزلته عن مفهوم

---

[1] - الوجودية والاسلام . محمد البوهى صـ٢٦-٢٧

الدين الحق عزلا تاما . ومن عجب إن الكثيرين فى بلادنا يفهمون هذه الحقيقة ولكنهم ينظرون إلى هذه الدعوات من خلال مظاهرها البراقة الخادعة ، بينما تجاوزتها مجتمعاتها لفسادها .

فالوجودية بعد وفاة سارتر (لم يبق من الدعاة لها الا عشيقته " سيمون دى بفوار " وعدد قليل من أنصاف المثقفين والمتحللين ، وقد أعلن الأستاذ" جايتان بيكون" مدير الثقافة الفرنسية إن الوجودية قد ماتت فى فرنسا منذ عدة أعوام . بل إن سارتر نفسه قد اعترف بفساد فلسفته وهزيمتها حين سألوه وهو يحتضر إلى أين قادتك فلسفتك ؟

فقال : " فلسفتى قادتنى فى النهاية إلى هزيمة نكراء "، بل خرج على مبادئه الالحادية وطلب إن يؤتى له بقسيس يحضر خروج روحه ، ويعطيه الغفران كما يعتقد النصارى .

أنواع الوجودية :

لقد سبق إن قلنا إن الإتجاهات الوجودية قد تعددت بتعدد الفلاسفة الذين شاركوا فى وضع أسسها ، لأنه ما دامت الفلسفة فى نظرهم مجرد

التجربة الشخصية فمن المنتظر إن يكون لكل فيلسوف منهم نظرته الخاصة ، ووجوديته المتميزة ، الا إن الوجوديين يذكرون إن الوجودية نوعان .

يقول سارتر : (وتعريف الفلسفة الوجودية تعريف بسيط للغاية ، ولكن ما يعطل الأمور هو وجود مدرستين وجوديتين ، تختلف الواحدة منهما عن الأخرى ، وبالتالى : وجود نوعين من الوجوديين أولهم الوجوديون المسيحيون (ويمثلون الوجودية المسيحية) وفيهم الفيلسوف الألمانى كارل جاسبرز والفيلسوف الفرنسى نمابربيل مارسيل والاثنان كاثوليكيان .

والفئة الثانية هى فئة الوجوديين الملحدين (ويمثلون الوجودية الملحدة) وبينهم يجب إن يضع هايدجر ، والوجوديون الفرنسيون وأنا أيضا... سارتر- وهاتان الفئتان من الوجوديين تلتقيان إلى صعيد واحد، وتتفقان على إن الوجوديسبق الجوهر ، وبعبارة أخرى على أنه يجب إن نبدأ من الذاتية . ([1])

ويلحظ إن الوجودية المؤمنة تعالج المشكلات الفلسفية من منطلقات العقيدة النصرانية ، والتصوف الحلولى والاتحادى الباطل . ولذلك فمن الأفضل إن تسمى هذه الشعبة بالوجودية المسيحية .

---

[1] - الوجودية مذهب انسانى - جانبول سارتر صـ٤١ ط بيروت ١٩٨٣م

ويلاحظ أيضا إن الوجودية المؤمنة لا تختلف عن الوجودية الملحدة الا فى القليل ، حيث أنها تشترط الا يمارس التدين إلا من خلال تجربته الصوفية الخاصة أما بقية حياته فلا يخضع فيها إلا لإرادته الحرة ، وما تمليه عليه رغباته وميوله ، وليست هذه إلا صورة من العلمانية أو اللادتينية .

وسوف نعرض فيما يأتى لأهم آراء الوجوديين وكيف تعرضوا بالحل للمشكلات التى أثاروها ، وسوف نزن هذه الآراء بميزان الإسلام ، لنكشف عنها النقاب وحتى لا ينخدع بها شبابنا .

الوجود والماهية .

تقوم الوجودية على فكرة رئيسية مؤداها إن الوجود أسبق من الماهية وقد سبق إن ذكرنا قول سارتر بأن الوجوديين - المسيحيين والملحدين - يبدأون من هذه البداية أسبقية الوجود على الماهية ([1]) ويقول عبد المنعم الحفنى : " والوجوديون جميعا ، سواء المسيحيين أو الملحدين . يبدأون جميعا من بداية واحدة ، هى إن الوجود سابق على الماهية " .([2])

[1] - انظر : الوجودية معنى انسانى صـ٤١ . سارتر
[2] - معنى الوجودية صـ١٩ نقلا عن الوجودية فى ميزان الإسلام صـ١٩

والماهية عندهم : هى مايتصوره الفرد عن نفسه ، وما يريد إن يحققه فى الواقع الحسى . والوجود عندهم، ليس تصوروا فى الذهن ، ولكنه خروج من التصور إلى الواقع المحسوس .

واذا أردنا إن نضرب مثلا نوضح به مسألة الوجود والماهية فإننا نقول : عندما يريد المهند\س إن يقيم عمارة ، فإنه يتخيل أولا الوضع التصميمى الذى ستكون عليه تلك العمارة ... ارتفاعها ، عدد طوابقها ، أحجام حجراتها ، ألوانها ، نوع زجاجها ، إلى كل ما يتصل بها حتى الأشياء الكمالية فيها من بروز ، ونقوش وغير ذلك ، مما يجعل العمارة قائمة فى ذهنه صورة متكاملة يضعها بعد ذلك على الورق ثم ينقلها تنفيذيا إلى الطبيعة ، هذه الفكرة عن العمارة هى صورتها تصميمها للوضع الذى ستصير عليه بعد وجودها ، ثم إن كينونة الشىء هى وجوده بينما الفكرة التى أقيم على مثالها هى الصورة ، أو المثال ، وبين هذين الأمرين الصورة والكينونة تذهب الفلسفة وتجىء وقد أجمع كثير من الفلاسفة على إن الصورة تسبق الوجود ، وأن وجود الشىء دليل على وجود مثالى تصورى له سابق عليه ، ولكن الفلسفة الوجودية تقوم على عكس ذلك فهى لا ترى إن هناك صورة مثالية سابقة على الوجود كتب سارتر يقول : إن وجود االانسان سابق على ماهيته ،

ثم فسر عبارته تلك بقوله : نحن نعنى بهذا إن الانسان يوجد أولا ، ثم يتم تحديده فيما بعد بواسطته هو لأنه هو الذى يصنع نفسه([1]) ويتساءل سارتر قائلا : ما معنى كون الوجود يسبق الجوهر ، أو الفكرة المجردة ؟

ثم يقول : إن ذلك يعنى إن الإنسان يوجد قبل كل شىء ، يصادف ويظهر فى الطبيعة والكون ، ومن ثم يحد ويعرف ... الانسان ليس فقط موجودا كما يتصور وجود نفسه ، بل كما يريد وجود نفسه ، وكما يتصور وجود نفسه بعد إن تكون هذه النفس قد وجدت ، والانسان هو خالق لنفسه لأنه وحده متصور لها . ([2])

ويعلل سارتر بضرورة ذلك بحرية الارادة ، حيث يدعى ، أنه ليست هناك ماهية الانسان خلقها الله من قبل ، وفرض على الانسان إن يسير اليها بجهده ، انما الأمر كله رهن بمشيئة الفرد ، وارادته، يبتدع ما يعن له من قيم ، ويخلق ما يريد من مبادىء ، لأن وجوده سابق على أى مثال ينزع إليه ، أما إن تصور وجود ذلك المثال ، أو خيل اليه وجود اله مهيمن على

---

[1] – سورين كيركجارد د : على محمد صـ٨٤
[2] – الوجودية مذهب انسانى صـ٤٤–٤٥

أفعاله ، فإنما يكون قد قصد التخلى عن حريته ، والتنصل من ارادته ، و ترك وجوده لحرية الواقع تجرى على أى تيار يحمله .([1])

وهكذا يتصور سارتر أنه يسبق الوجود على الماهية يكون الانسان حرا ومسئولا مسئولية تامة عن أفعاله ، وعن مستقبله ، وأنه لن يكون شيئا الا اذا أراد وصمم ، وعمل ، وقذف بنفسه إلى المستقبل ، وحقق وجوده فى عالم المادة . والواقع إن سارتر قد خلط بين ماهية الشىء وهويته .

فالماهية : هى ما به الشىء هو هو " ([2]) والهوية : حقيقة الشىء من حيث تميزه عن غيره .([3]) فأنا قبل إن أوجد كانت ماهيتى وحقيقتى سابقة لوجودىفالانسانية كمعنى كلى موجودة قبل وجود الأفراد ثم وجدت وبعد إن وجدت بدأت طريقى فى الحياة وكونت هويتى أو شخصيتى فالانسان يوجد أولا ثم توجد هويته بعد ذلك هل هو انسان صاحب موقف وصاحب رأى ؟ أو إمعة يسير مع الناس حيث ساروا هل هو انسان لا يقبل الذله ؟ أم خنوع ذليل يقبل الضيم هل هو إنسان صادق أم كاذب وهكذا فهوية الإنسان ومشخصاته

---

[1] - تاريخ الوجودية : محمد سعيد العشماوى صـ٩٩ نقلا عن الوجودية فى ميزان الاسلام صـ٢٠

٢ - المعجم الفلسفى صـ١٦٥

٣ - نفسه صـ ٢٠٨

تتكون بعد وجوده لكن الماهية سابقة على الوجـود وهـذا مـا عجـز عـن فهمـه سارتر أو انه خلط على الناس وأوهمهم بما يقول عن قصد)([1])

وفيما يبدو إن الوجودية الملحدة اتخذت من القول بأسبقية الوجودعلـى الماهية تكأة لإنكار وجود الله وكونه خالقا وصانعا .

يقول سارتر : (هكذا يصح الإعتقاد أنه لا توجد طبيعة انسانية لأنـه لا يوجـد اله خالق ليتصورها فـى ذهنـه ومـن ثـم يعمـد إلـى خلـق الانسـان بنـاء علـى تصوره لتلك الطبيعة). ([2])

وقـول الوجوديين بـأن الانسـان يصنـع نفسـه قـول يجعـل الإنسـان لا يرتبط بغير شخصه ... ذاته ... وجوده لا تربطه بفكرة مثالية سـابقة أو تقيـم له صورة للإنسان الكامل أو الفاضل الذى يجاهد إن يحققها فى نفسـه ... فـلا ارتباط عندهم بين الانسان من حيث هـو كـائن فعـلاً وبيـن الصـورة الأصليـة للإنسان المثالى ولا ريـب إن فصـل هـذا الإرتبـاط يكسـب الإنسـان اضطرابـا وقلقا لأنه لا يربط وجوده إلى أصول ثابتة ولا يلتزم طريقا مطروقا كالسـيارة التـى تنطلـق دون إن تسـير فـى طريـق معلـوم ولا صلـة تربطهـا بالسـيارات

١- الوجودية فى ميزان الإسلام صـ٢١

٢ - الوجودية مذهب انسانى صـ٤٤-٤٥

الأخرى التى تنطلق فى قافلة الحياة إنها قد تتشابك وقد تتصادم وقد يحطم بعضها بعضا دون إن تفكر فى تعديل سيرها .

الانسان فى الوجودية :

إن كل انسان فى الوجودية له أهدافه الخاصة دون إن يكون له موجه من كتاب أو سنه ليأخذ بيده ودون إن يكون له مصباح ينير له دروب الحياة المظلمة فالإنسان غير مرتبط بصورة سابقة لوجوده عمارة قائمة لا صلة لها بالمهندس الذى أقامها ولا تعترف بها ولا بالتصميم الذى أقامها على صورته ورسمه بل هذه العمارة تهندس نفسها منذ اكتشفت وجودها وعليها إن تخلق عالمها .

يقول سارتر : الإنسان ليس قبل كل شىء الا مشروعا ، وهو مشروع يعيش بذاته لذاته وهذا المشروع سابق فى وجوده لكل ما عداه ولا يوجد شىء تستطيع السماء إن تتصوره أو تتخيله فالإنسان هو ما شرع فى إن يكون لا ما أراد إن يكون . ([1])

والوجودى يعتبر أيضاً إن الإنسان لن يجد عوناً فى هذه الأرض و لن يجد ما يهديه ويحددله معالم سيره لأنه يؤمن بأن على الإنسان إن يفسر هذه

---

[1] - نفس المرجع السابق صـ٤٥-٤٦

المعالم التى هى أشبه با لطلاسم وأن عليه إن يحلها بطريقته الخاصة فهو يعتبر إذن إن الإنسان مدعو فى كل لحظة لإختراع الإنسان . ([1])

فالفرد الوجودى غير مكلف بتقليد ستبق أو التمسك بعرف متبع أو النزول عند توجيهات سالفة لأنه مقطوع الصلة بكل ذلك وقد بدأت دنياه المستقلة داخل قوقعته الذاتية منذ أحست هذه الذات بوجودها على الأرض فقط ولا شيء غير هذا وعليه وحده أنت يختار وفقاً اما يري حلا لمشاكله وان يرسم طرق السير فى مسالكه لكن هذا الإختيار الذاتى هو االصورة التى يحققها لنفسه فالوجود أولاً ثم من هذا الوجود تنبثق الصورة التى يجب إن يصنع حياته عليها .([2])

والوجودية بذلك تدعو إلى الكسل والخمول ، والكآبة ، والقلق ، والاضطراب والجبن والضعف ، والميوعة ، والفسق ، والانحلال والشذوذ ، وغير ذلك من الصفات التى تؤدى إلى قطع العلاقات التى بين البشر ، والتى بينهم وبين الله الالـق ، مما يؤدى إلى تحطيم المجتمعات . **وأين هذا من موقف الاسلام من الانسان ؟**

---

[1] - نفس المرجع ٥٥

٢ - الوجودية والإسلام ص ١٠ - ١١

فالإنسان – فى الاسلام– مخلوق لله عز وجل ، الله خالقه ورازقه قال تعالى " إذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين" ([١]) والإنسان مكرم بتكريم من الله عزوجل : " ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرممن خلقنا تفضيلا " ([٢])

اذا : فالإنسان مخلوق لله – عز وجل – وهو يحمل فى نفسه الإعتقاد بأنه مكرم ومفضل ، هذه العقيدة التى وقرت فى نفسه تحمله على ان يسجد شكرا لله – عز وجل – ففهم الذات يعنى فى النهاية القرب إلى الله ، والشكر لله على فضائله التى منحها للإنسان .

وإذا كان الإنسان مخلوقا لله فلا يمكن ان يظن أنه مساو لله عز وجل فى أى وجه من الوجوه والإنسان وجد لغاية ، وخلقه الله سبحانه وتعالى لمهمة جليلة ، هى مهمة الخلافة فى الأرض ، والقيام بحق العبودية لله عز وجل : قال تعالى" واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ..." ([٣])

١- ص الآية /٧١
٢ - الإسراء / ٧٠
٣ - البقرة / ٣٠

وقال تعالى : " وما خلقت الجن والإنس إلاليعبدون " ([1]) ومنحه حرية الاختيار ، وأعطاه الارادة ليفرق بين الحق والباطل ، بين الفجور والتقوى " ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها "([2])

ولكنها الوجودية التى تدعو الشباب الباحث عن اللذة إلى الانغماس فيها ، والعب من كؤوسها ، واطرح كل ما يدعو إلى العفة أو الخلق أو الدين .

المسئولية والارادة

والقول بالمسئولية والارادة هو نتيجة لازمة من نتائج القول يسبق الوجود على الماهية ، لأنه اذا كان الانسان كما يقول الوجوديون مجرد مشروع قابل للتحقيق . فلابد إن يكون هناك إرادة تساعد على تحقيق الذاتية والماهية المطلوبة ، ولابد أيضا إن تكون هناك مسئولية كاملة للفرد عما يريد إن يصل إليه .([3])

---

[1]- الذاريات / ٥٦
[2] - الشمس : ٧-١٠
[3] - الوجودية فى ميزان الإسلام صـ٢٣

يقول سارتر : فاذا كان الوجود يسبق حقيقة الجوهر ، فالإنسان اذن مسئول عما هو كائن ، فأول من تسعى إليه الوجودية هى إن تضع الإنسان بوجه حقيقته ، وأن تحمله مسئوليته الكاملة لوجوده .([1])

وليست المسئولية شخصية فقط بل الفرد مسئول عن المجتمع الذى يعيش فيه ، يقول سارتر : وعندما نقول إن الإنسان مسئل عن نفسه لا نعنى إن الإنسان مسئول عن وجوده الفردى فحسب ، بل هو بالحقيقة مسنول عن جميع الناس وكل البشر .([2])

ويرى جارودى إن ذلك كان ضروريا فى وقت سادت فيه نظم العسكرية ابان الحرب ، وعقب الهزيمة الشاملة للفاشية الهتلرية ، وانتشار مآسى الاشتراكية التى قامت تنكر فردانية الفرد .([3])

هذه فكرة الوجوديين عن المسئولية ، الإنسان مسئول عن نفسه ، وهو أيضا مسئول عن الآخرين .

وكون الانسان مكلف ومسئول أمر لا تختلف معهم فيه ، وهو لمقرره القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .

---

[1] – الوجودية مذهب انسانى صـ٤٦
[2] – نفسه صـ٤٦
[3] – عن الاسلام والمذاهب الفلسفية د : مصطفى حلمى صـ٢٢٥

يقول الله تعالى :" إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين ان يحملنها ، وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا" ([1]) والأمانة التى تحملها الانسان تعم جميع وظائف الدين على الصحيح . ([2])

وهكذا تبين لنا هذه الآية إن الانسان فقط من بين سائر المخلوقات هو الذى تحمل مسئولية التكاليف الشرعية ، الا إن هذه المسئولية تحتاج إلى أركان أساسية ، والا تحولت إلى فوضى . وأول ركن من أركان المسئولية الإلزام فلابد من ملزم يلزم الإنسان بهذه المسئولية ، وهو الله سبحانه وتعالى وبما أنه لا مكان لله عند الوجوديين ، فإن فكرة المسئولية عندهم تكون فكرة منهارة لا أساس لها من المنطق الصحيح .

واذا قالوا : إن الملزم نابع من النفس البشرية دون الحاجة الى ملزم خارجى ، فإننا سنقول لهم ، إن هذه أفكار خيالية غير قابلة للتحقيق على أرض الواقع ، فهو خيال الحالمين الذين يتصورون الناس ملائكة سوف تلزم نفسها بلاملزم ، فضلا عن أنكم تنكرون النفس البشرية ولنتجاوز هذه النقطة ، وننتقل إلى الركن الثانى من أركان المسئولية وهو الجزاء ، فلابد على

---

[1] - الأحزاب : ٢٧

[2] - الجامع لأحكام القرآن جـ١٤ صـ٢٥٣

المسئول المكلف إن يلتزم ما كلفه الله به وأنه إن فرط فى حدود الله ، كان له العذاب الأليم ، وان التزم شرع ربه كان له الثواب العظيم ، كما قال ربنا عز وجل : " يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو إن بينها وبينه أمدا بعيدا ...."([1])

وقال تعالى : " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ([2])

وقال تعالى : " يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . " ([3]) ويقول تعالى : " وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " ([4])

فهذه الآيات تفيد إن الله عز وجل يحاسب بن آدم ويجزيه على عمله وأنه سبحانه لا يغفل من عمل ابن آدم ويجزيه على عمله وأنه سبحانه لا يغفل من عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة .

---

١ - آل عمران /٣٠
٢ - الأنبياء /٤٧
٣ - الزلزلة / ٦ -٨
٤ - االإسراء / ١٣ ، ١٤ .

وبما إن الوجودية لا تؤمن بالحساب ، ولا بالجزاء ، فكلامها عن المسئولية لا معنى له ، لأنه قد فقد الأسس التى ينبغى إن يقوم عليها . وأما عن الشق الثانى من المسئولية عندهم ، فهو مسئولية الفرد أيضا عن الناس والمجتمع .

فبأى منطق يكون الانسان مسئولا عما يرتكبه غيره من آثام ، ولكن كيف نتساءل عن المنطق فى فلسفة يصفها أصحابها بأنها فلسفة اللامعقول .

أما عن موقف القرآن من هذه القضية ، فهو موقف العدل والإنصاف " لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " ([1]) " ومن يكسب اثما فإنما يكسبه على نفسه " ([2]) من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزروا وازرة وزر أخرى " . ([3])

وفيما يبدو إن فكرة الوجودية عن المسئولية مأخوذة من العقيدة النصرانية التى تدعى إن البشر كلهم قد تحملوا خطيئة لا يد لهم فيها وهى خطيئة آدم .

---

١ - البقرة : ٢٨٦
٢ - النساء / ١١١
٣ - الإسراء /١٥

وأما المسئولية فى الاسلام فهى مسئولية شخصية اجتماعية معا ، ولكن المسئولية الاجتماعية لابد إن تكون فى اطار قدرة الإنسان وما يتحمله . فالانسان فى الاسلام ليس عضوا سلبيا يرى المنكر ولا يستنكره ، لا يأمر بمعروف ولا يحض على خير !! كلا ، فالمسلم عضو عامل فى المجتمع ومسئول عن توجيه إخوانه االى الخير ، ودفعهم إلى الفضيلة ونهيهم عن الرذيلة .

ومن هنا يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –:–

" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان" فإذا ما قام المسلم بواجبه – جهد طاقته – تجاه الآخرين ، فلم يستجيبوا هنا تسقط المسئولية عنه بقوله تعالى : " ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم " ([1]) ويقول : " فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السؤ وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس " ([2]) نعم هذا منطق العدل والعقل . أما إن يحاسب الإنسان على أمور لا تقع فى نطاق قدرته واستطاعته ، أو إن تكلفة مسئولية أمور حدثت بلا

[1] - المائدة /١٠٥

[2] - الأعراف / ١٦٥

قصد ، ولا ارادة منه ، فهذا هو التناقض ، واللامعقول الذى تنادى به الوجودية اليوم . ([1])

الاختيار:

وهو يعنى إن يختار الانسان بنفسه ما سيكون عليه حاله ، وعندهم إن الكائن الموجود هو الذى يختار مصيره طواعية ، دون اكراه أو ضغط وهو الكائن الذى تتمثل فيه صفة الوجود الحقيقية ، كما لا يكفى أبدا إن تختار حالة وجودية خاصة ثم نثبت عليها ، فإذا فعلنا ذلك فقد أصبحت لنا خصوصية المستنقع الهادىء الميت ، وفقدنا بالتالى وجودنا .. ([2])

والانسان حينما يختار لنفسه ، فهو أيضا يختار للآخرين ، وانه يختار الخير دائما ، وليس الشر، يقول سارتر : عندما نقول إن الانسان يختار نفسه بنفسه نعنى بالتالى إن الانسان الذى يختار نفسه انما يختار تبعا لذلك جميع البشر ، وفى الواقع إن كل عمل نقوم به يخلق الرجل الذى نريده ونخلق فى نفس الوقت الرجل الذى نرغب إن نكونه ، فإذا اختار الإنسان إن يكون شيئا

---

[1] - الوجودية فى ميزان الإسلام صـ٢٣-٢٨

[2] - معنى الوجودية . دراسة توضيحية من أعلام الفلسفة الوجودية صـ١٦

معينا فهو ، بذلك يؤكد قيمة اختياره ، لأنه لا نستطيع أبدا إن نختار الشر ، إن ما نختاره لايكون الا الخير ، ولا خير فى نظرنا اذا لم يكن خيرا للجميع .(١) معنى هذا إن الفرد عندهم " اله " يشرع للناس ما ينبغى إن يسيروا عليه ، وقد عبر سارتر عن هذا فى قصة الله والشيطان " فقال : إن الانسان هو الموجود الوحيد فى الكون ، وأنه ليس هناك فى الكون اله غير الإنسان .

يقول رمضان لاوند : إن الوجودية تمنح الانسان صفات الله ، ولكنه اله صغير يصنع شيئا فشيئا فى طريق لا نهائية لن يصل بها الى النور أبدا .(٢)

ولكن من هو الذى سوف يختار لنفسه وللناس ؟ وما الذى يلزم الناس بالخضوع لختياره ؟ أليست هذه دكتاتورية من أناس ينادون بالحرية ؟

أليست هذه دعوة إلى تأليه الفرد ؟ واذا فكون الفرد هو الذى يختار لنفسه وللآخرين ما ينبغى إن يكون عليه الإنسان ، لا مفهوم له ، ولا معنى له ، لأن كل انسان يريد إن يختار لنفسه نمط حياته ، وليس نمط حياة الآخرين ، وأما قولهم : إن الإنسان حين يختار لنفسه انما يختار الخير دائما

١- الوجودية مذهب انسانى صـ٤٦-٤٧ وانظر : الوجودية فلسفة الوهم الانسانى د : محمد ابراهيم الفيومى صـ١٠٠

٢- الوجودية فى ميزان الاسلام . د : سعد الدين صالح صـ٢٦

وأنه لا يوجد فى ممارساته فعل واحد غير أخلاقى ، فهو قول عجيب ؟ فهل اختيار سارتر لعلاقة المخاونة والعشق مع تلميذته "سيمون دى بفوار " هو اختيار اخلاقى ؟ وهل دعوته إلى اليأس والقنوط والقلق والعبث والإنتحار هو اختيار أخلاقى ؟ وهل انضمام " مارتن هيدجر " إلى الحركة النازية فى المانيا ، ودعوته لهتلر الذى كان يريد إن يسحق العالم كله ، هل هذا اختيار أخلاقى ؟ وهل دعوة الوجوديين الدائمة إلى التحلل الخلقى ، واشباع الشهوات بأية طريقة هل هذا اختيار أخلاقى ؟ اذن عن ماذا يتحدثون ؟

انهم يرفعون الفرد إلى درجة الاله ، فالاله وحده هو المقدس المنزه عن الخطأ ، وما يختاره للإنسان هو الخير المطلق واذا فأولى بالإنسان إن يعود إلى اختيار الله الذى تقرر من خلال الكتاب والسنة ، وليضرب عرض الحائط باختيارات البشر.(1)

---

[1] - الوجودية فى ميزان الاسلام صـ٢٦-٢٧

الحرية

والحق أنه ليس ثمة موضوع أقرب من قلوب الوجوديين من موضوع الحرية ، وليس ثمة مفكر وجودى خلت كتاباته ، وأقواله من هذا الموضوع ، وسنقتصر فى حديثنا عن الحرية على سارتر وعشيقته .

وسارتر يرى إن الانسان مضطر لأن يكون حرا ، وقد حكم علينا بالحرية ، وهو حر لأنه منذ الساعة التى القى فيها فى هذا الكون وجد نفسه مسئولا عن كل ما يفعله .

لكن ما مفهوم الحرية عند سارتر وعشيقته ؟

الحرية عند سارتر وعشيقته معناها التحرر من كل المبادىء والقيم والأخلاقيات وأن يصنع الإنسان لنفسه قواعده الخاصة ، ومفاهيمه الذاتية المتعلقة بالحق والخير والجمال ، يقول سارتر :

(واننى أؤكد إن الحرية فى الاختيار لا تعنى الا اختيار الحرية . الحرية لا تختار الا نفسها . واذا اعتبر الانسان إن له حرية وضع القيم الأخلاقية والوجودية ، فانه بالتالى يقر : هذه الحرية هى ذاتها التى يجب إن تبقى فى أساس القيم . وهذا يعنى إن أعمال الانسان ذى الإيمان الصحيح لا

تعنى لإلا الحرية الناصعة . ولا تعنى الا الجرى المضنى خلف هذه الحرية فالايمان الفاسد موقف متناقض فى ذاته وهو لا يملك إن يستقيم ... إن سعينا خلف الحرية لا يجب إن يتخذ أى شكل آخر اننا نبحث عن الحرية لذاتها ([1])

ويقول سارتر فى تعريفه لحرية بغير التزام : (انهم يكتشفون فى وقت واحد إن كل الأفعال الانسانية سواء ، وأنها بحتمية مبدئية محكوم عليها جميعا بالفشل ... وهكذا يستوى آخر الأمر الأمر إن أثمل بالشراب فى وحدتى . أو إن أقود الشعوب ، واذا كان لأحد هذين الفعلين إن يمتاز عن الآخر فلن يكون ذلك بفضل هدفه الواقعى ، بل بسبب درجة ما يملكه من وعى لهذه المثل .([2])

وتقول سيمون دى بوفوار :- عشيقة سارتر - افعل ماينبغى لك وليكن ما يكون - هذا هو مفهوم الحرية ، إن يتحلل الإنسان من كل المبادىء ، وإن يسوى بين كل الأفعال ، وأن يتحلل م كل قيد وسوف نضعه فى ميزان النقد العادل .

إن هذه الفلسفة تتضمن مغالطة ظاهرة ، عندما تساوى بين أفعال الإنسان فهل تتساوى الأفعال حقاً ؟ اذا تصورنا الانسان فى حركته الحرة نحو الأهداف إنما يتحرك وفق صورة ذهنية ، وقيم معنوية ، تصحبها انفعالات

---

[1] - الوجودية مذهب انسانى صـ٨١-٨٢

[2] - الاسلام والمذاهب الفلسفية د/ مصطفى حلمى صـ٢٢٩

وجدانية تدفعه إلى السلوك العملى نحو هدف يختاره مسبقا بعد المفاضلة والمقارنة بينه وبين غيره ، فليس فعل الانسان الذى يسعى إلى للرزق ، أو طلبا للعلم ، أو معاونة الآخرين ، كالانسان الذى ينوى ارتكاب جريمة ، فكيف تتساوى الأفعال !!

إن أول ما يلحظ على الفكر الوجودى فى مفهومه عن الحرية ، هو الخلط والعبث ومحاولة ابراز الحرية فى أبشع صورة ، وهى صورة لانحلال المطلق من كل شىء ، ومن كل قيمة حتى إن الانسان لينطلق كالكلب المسعور ، وراء اشباع شهواته ورغباته لا يلوى على شىء ، ولا يرعى حقا ولا حرمة لأحد ، ومن هذا اعتبروا الآخرين قيدا من قيود الحرية .

وهذا مفهوم فى غاية التدنى والانحطاط ، وليست الحرية هى حرية العبث والمجون لأن فى هذا المفهوم اعتداء صارخا على حريات الآخرين ، وحرماتهم ، ومن هنا كان التحديد الصحيح للحرية هو أنت حر ما لم تضر بنفسك وبالآخرين ، وما لم تعتد على حرماتهم ، وشعرت بحق الناس عليك ، والا تحولت الحرية إلى أنانية مفرطة ، وفرق بين الحرية ، والأنانية – كما إن الحرية لا تكون فى الخضوع لحكم الهوى ، بل فى الخضوع لحكم العقل وسيطرته على الهوى والرغبة الجامحة التى تتجاوز الحد الضرورى لمطالب

الإنسان إالى ما لا ضرورة له ، ولا حد له ، من لذات الحس ، والتى تشكل وهما يبدو لا حقيقة له اذا قيس بمقياس الفكر والعقل .([1])

كما إن هذا المفهوم للحرية يحول الوجود إلى غابة وحوش كل واحد يريد نفسه فقط ، ولو على حساب الآخرين ، مما يؤدى إلى الفوضى والانحلال ومن هنا كان تصوير سارتر للآخرين بأنهم هم (الجحيم) لأنه يرى إن الآخرين يحاصرونه ، ويرصدون حركاته وسكناته ، ويتدخلون فى شئونه وقد يتدخلون فى شئونه بالنقد أو تامؤاخذة ، والوجودى يعتقد إن ذلك اعتداء صارخ على حريته .([2]) والحرية لا تصبح قيمة ذات هدف انسانى ، وقيمة ايجابية الا اذا تقيدت بالقيم الأخلاقية ، وبغير هذا الإلتزام تكون الحرية هادمة للفرد، وللمجتمع وللبشرية إن الانسان خلق خلق على صفات وأخلاق وعادات لم يصنعها هو بنفسه لكى يكون له الحق فى الادعاء أنه ينفذ أهداف ما صنع ، ولكنه يتصرف طبقا لما هو أودع فيه ، وبالرغم عنه من صفات فإذا لم يهتد بالارادة الخالقة فى تسيير هذه الآلة الانسانية بما علم صانعها من أسباب الخير لها ، كان خائنا لهذه الآلة الانسانية التى هو أمين عليها ، وخائنا

---

[1] – الوجودية فى ميزان الاسلام د / سعد الدين صالح صـ٣١ – ٣٢ .
٢ – نفسه صـ٣٢

لوجودها ، لأن تحقيق وجودها الطبيعى رهن بتحقيق رسالتها التى حددها لها صانعها وفقا للنظم التى تثبت صلاحيتها ، سواء كانت أخلاقية أو اجتماعية ، ففهم الحرية هنا فهم غير أمين ، إن السائق ليس حرا فى استعمال السيارة بطريقة قد تحطمها ، وانما هو مكلف إن يسوقها فى حرية وفقا لامكانياتها ، ومدى احتمالها فى حدود التصميم الذى أوحى به المهندس والمخترع .

ولقد وضع الاسلام المفهوم الصحيح لمعنى الحرية ، حين حرر الانسان من عبودية كل ما سوى الله عز وجل . حرره من الخضوع والعبودية والخنوع لبشر مثله جمعته واياه وحدة العبودية لله رب العالمين ، فما لأحد عليه غير الله من سلطان وما من أحد يميته أو يحييه الا الله ،وما من أحد يملك له ضرا ولا نفعا الا الله وما من أحد يرزقه من شيء فى الأرض ولا فى السماء الا الله ، وليس بينه وبين الله وسيط ولا شفيع .

وحرره من الخضوع والخنوع لأية قيمة مادية تستذله وتستعبده ، والاسلام لا يحرم متع الحياة ، انما يتعامل معها المسلم فى غضون ما رسم الله عز وجل له ، بأن يأخذ من متع الحياة ما يكفى حاجته ثم بعد ذلك ينطلق عابدا مخلصا العبادة لإله واحد يقول للشيء كن فيكون .

فالاسلام يعترف بالدافع الجنسى لدى الانسان ، ويهيىء له الظروف الملائمة ويشجع المسلمين على الزواج ، والتناسل ، وما دام الهدف من الجنس هو عبادة وتقرب إلى الله ، وتعمير الكون ، وايجاد النسل ، فهو يصنع له الضوابط والقيود . ومن هنا يرفض الاسلام الفوضى الجنسية ، بكل أشكالها والوانها ، يرفض إن يلتقى الرجل والأنثى لقاء جنسيا على قارعة الطريق كما يحدث فى البلدان التى تعتنق الوجودية . يرفض إن يكون اللقاء الجنسى فى الأماكن العامة تحت سمع الآخرين وبصرهم ، يرفض ان يباع الجنس ويساوم عليه كما يحدث عند شراء السلع والأدوات المنزلية ، يرفض إن يكون الجنس نزوة طارئة تجمع رجلا وامرأة للحظات معدودة فى الليل أو النهار ، ثم يفترقان إلى غير رجعة .

إن العلاقة بين الرجل والمرأة فى الاسلام هى علاقة الحب والمودة علاقة الصفاء والطهر ، علاقة ليست مؤقتة بوقت ، ولا محدودة بزمان بل هى مستمرة حتى تضمن إن ينشأ الأطفال فى جو الدفء والحنان ، جو المودة والحب الذى يجمع الرجل وزوجه .

قال تعالى : " ومن آياته إن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " ([1])

والاسلام لا يحرم الطعام الطيب ، ولا يحول بينه وبين آكليه ، الاسلام يطالب أتباعه بأن يأكلوا ، ويتمتعوا ، وينزل باللائمة على أولئك الذين يصومون الدهر ، ويرفضون طيبات الحياة ، ويتحولون فى النهاية إلى أشخاص لا يعملون ، ويصبحون عالة على غيرهم . قال تعالى : "قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق " ([2])

شيء واحد يقبله الاسلام هو الاعتدال فى التصرف مع متع الحيا . فالانسان فى ظل الاسلام يكون عبد الله وحده ، وحرا بعد ذلك من كل سلطان أما هؤلاء فيصورون االحرية تصويرا مهينا حين يجعلون الانسان عبدا لشهواته وأهوائه ، يجرى وراءها لحظة بعد لحظة فى صيرورة دائمة لا يعرف لها هدفا ولا غاية ، كما يصورون الأحكام الشرعية قيودا ، انما هى حماية لحرية المجتمع من عبث الفرد . ([3])

---

١ -الروم : ٢١
٢ - الأعراف ٣٢
٣ - انظر : الوجودية فى ميزان الاسلام صـ٣٢-٣٣ ، المذاهب المعاصرة د : عبد الرحمن عميرة صـ ٢٣٧-٢٤٦

موقف الوجودية من الأخلاق

إن الفلسفة الوجودية فلسفة فردية ذاتية ، لا تعترف الا بالفرد الجزئى ، ومشاعره ، وأحاسيسه ، التى ترفض الخضوع لأخلاق وقيم المجتمع الذى تعيش فيه ، ومن هنا رفضت سبق الماهية على الوجود وادعت إن الانسان هو الذى يخلق ماهيته ويحدد لها القيم والأخلاق التى تتناسب مع مواقفه الخاصة بصرف النظر عن الآخرين . كتب دستويفسكى : : اذا لم لكن الله موجودا ، فان كل شىء يصبح مسموحا " من هنا تنطلق الوجودية ، فافنسان متروك لا يعنى به أحد ، لأنه لا يجد فى نفسه ، ولا فى خارجه شيئا يتمسك به ، ويتعلق بأهدابه ، فهو لا يجد قبل كل شىء أيه مسامحة لأخطائه ([1])

هكذا يصورون الانسان فى هذه الأرض بغير عون ، ولم يجد ما يهديه أو يحدد له معالم سيره .

وهم يرون إن الانسان يختار أخلاقه ، إن الانسان ليس كائنا تام التكوين بل كائن يتكون وهو يتكون باختيار لنوع أخلاقه .([2])

---

[1] - الوجودية مذهب انسانى صـ٥٤

[2] - نفسه صـ٧٩

وهم بهذا يدمرون الانسان والفرد والمجتمعات معا عندما يصفون الأخلاق بأنها متغيرة ، تتغير طبقا لما يقع الفرد عليها من اختيار ، فكل فرد هو عالم قائم بذاته يصنع لنفسه أخلاقه ، وآدابه وعقائده ، وآراءه ، فيختار الإباحة إن شاء الله وهو المسئول عما يصيبه من جراء اباحيته أو جراء نكسه وزهده .

ويقول سارتر : بما أننى حذفت الإله الأب من تفكيرى ، فيجب على الأقل إن أعتمد شخصا يخلق القيم الأخلاقية ، يجب إن ننظر إلى الأشياء نظرة واقعية ، وقوله أننا نخترع القيم لا يعنى إن الحياة مبدنيا لا طعم لها ، ولا معنى ... إن الحياة لم يكن لها أدنى معنى أو قيمة قبل إن أوجد ، وان المعنى الذى يصبح لها فيما بعد ليس الا من نتاجى أنا .. ليس معنى الحياة الا نتيجة لاختيارى وهكذا تجدون أنه فى الامكان خلق طريقة خاصة لمعيشة مجتمع بشرى ([1]) يعد هناك فرق بين مجتمعات الانسان وغابات الحيوان . وهذا ما قصد اليه الفكر الوجودى المعاصر ، فقد أراد إن يحول المجتمعات إلى مواخير ، وأن يدفع بالشباب والمراهقين إلى طريق الرذيله . من هنا يمكن إن نقول عن فلسفة سارتر أنها فلسفة المراهقين وأصحاب البارات

---

[1] - نفسه ٨٥ - ٨٦

والمقاهى ، ولكنها ليست بأية حال فلسفة الطبقة المثقفة الحرصة على بناء مجتمعها .([1])

أما الأخلاق فى الاسلام : فيقول الأستاذ الدكتور : سعد الدين صالح : انها أرفع من إن توضع فى مقارنة مع أخلاق الوجودية ، فالأخلاق فى الاسلام لها مقاييس ثابتة ، ولا يمكن إن تخضع لمقياس الانسان الفرد بما يتصف به من أنانية وطمع وحب للذات ةاشباع للشهوات ، وانما حدد لها الاسلام فضائلها ورذائلها وخيرها وشرها ، وفطر الله النفس الانسانية على معرفة الخير والشر بمعونة الشرع والوحى – قال تعالى : " ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها " ([2]) الانسان مزود من قبل الله تعالى ببصيرة أخلاقية " بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره " .[3]اذا فالمقياس الأخلاقى فى الاسلام مرده إلى الضمير المستنير بتعاليم السماء الذى حددت له الواجبات ووضحت أمامه المحرمات .

وليس معنى هذا إن الاسلام لم يضع اعتبارا لذاتية الفرد وملكاته ، وقدراته بل على العكس ، فقد ترك له المجال فى بعض المسائل الأخلاقية

---

[1] – الوجودية فى ميزان الاسلام صـ٧٣
٢ – الشمس ٧-٨
٣ – القيامة ١٤ ، ١٥

التى لم يرد النص عليها من الوحى الالهى ، فهناك أمور حرمها الشارع الحكيم صراحة ، وأمور أحلها صراحة ولكن هناك أمر أخرى تركها لذاتية الفرد وتقديره ، فقد حرم الاسلام شرب الخمر وأكل الميته ، ولكنه بعد ذلك يقول :"فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم " (١) فهنا يترك الأمر لضمير المسلم الذى ينبغى عليه إن يبذل أقصى طاقته فى سبيل التميز بين ما يمكن إن يكون من أمر الله تبعا لمجموع تعاليمه وبين ما لا يمكن إن يكون . ومن هنا يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه " .

وحين سئل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن معنى الخير والشر قال : " اسفت قلبك وان افتاك الناس وأفتوك ، البر ما اطمأنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى االصدر وكرهت إن يطلع عليه الناس .

وهكذا يحدد الوحى الالهى المقدس قوانين الأخلاق الأساسية من خلال الكتاب والسنة ، ثم يترك لذاتية الفرد مجالا فى بعض المسائل

---

١ - المائدة / ٣

الشخصية ، أما إن تحاول الوجودية إن تجعل الفرد هو مقياس الأخلاق ، بلا هداية من الوحى السماوى .

فهذا هو التدمير الحق لأسس بناء المجتمعات ، وهذه هى الفوضى التى تحول كل فرد إلى عالم وحدة يخطط لنفسه ، بصرف النظر عن الآخرين وآمالهم وحقوقهم .([1])

[1] - الوجودية فى الاسلام صـ٧٣ - ٧٥

الفهرس